بيتروف بـ ٤٣ سنة، في تقويم ظاهرة أبي جلدة، اذ قال المؤرخ السوفياتي، في معرض حديثه عن انتفاضة تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٣: «في ذلك الوقت، برز زعيم فصائل الفدائيين، البطل الشعبي أبوجلده، الذي كان يزرع الرعب في قلوب المستعمرين ببسالته وجرأته»(٤٦).

وثبت، بالتدقيق، ان عزالدين القسام، بالاشتراك مع كامل القصاب، أصدر كتاباً بعنوان: «النقد والبيان في رد أوامر خزيران»(٤٧)، عن طريق «مكتبة محمود يوسف عيسى الصفدي»(٤٨)، رداً على الكتاب المشترك للشيخ عبد الله الجزّار، مفتي عكا، والشيخ صبحي خزيران، قاضي عكا «فصل الخطاب في الرد على القسام والقصاب»(٤٩). وكان الكتاب المشترك للقسام والقصاب «ضد الطرق الصوفية والشعوذة»(٥٠)، و«داعية للوطنية عن طريق الإسلام، فحاربه الحاج خليل طه وأعوانه، وقاموا بشرائه من الأسواق وحرقه»(٥١)، وداعية لتحريم «التهليل والعويل خلف الجنائز»(٥٢).

وانفرد القسام، بتنظيم الاحتفال بعيد المولد النبوي في حيفا، على نحو خاص. اذ يحضر العامل البحري «مصباح الصراري»(٥٣) «شختورته»، فتركب لها العجلات وتكسى بالزينة، وتتصدر موكب «طارق بن زياد»(٥٤) وهو يطوف شوارع المدينة من الصباح حتى العصر. وتمر «السفينة» أمام دائرة البوليس، وخلفها الآلاف، وعلى رأسهم عمال البحر الذين «يحضرهم سرور برهم بتكليف من القساميين»(٥٥)، وعمال السكك الحديدية وعمال البناء والحجّارة، فحينها كان للقسام نفوذ قوي في قواعد جمعية العمال العربية الفلسطينية(٥٦). وأراد الموكب أن يشعر الناس بالخطر القادم، مذكراً اياهم بقول طارق بن زياد الشهير: «البحر أمامكم والعدو وراءكم».

٢ ــ التنظيم

بات معروفاً أن القسام، وهو يلقي خطبه ودروسه، كان يتفرس في وجوه المصلين «ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد لزيارته في منزله. وتتكرر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لانقاذ فلسطين مما يهددها من خطر، ضمن مجموعات سرية صغيرة لا تزيد عن خمسة أنفار»(٥٧). ووصف ابراهيم الشيخ خليل ما حدث معه في هذا المجال، بأنه في احدى خطب الجمعة، أواخر عام ١٩٣٤، «هزتني الخطبة فقررت أن انتظر بعد الصلاة لأصافح الشيخ... عندما صافحته شكرني وضغط على يدي، ففهمت أنه يريد رؤيتي. بقيت بعيداً عنه، وكان يمشي ويتطلع نحوي حتى وصلنا الى باب المسجد، فالتفت نحوي وقال: اتبعني ولكن عن بعد. تبعته حتى دخل داره، ووجدت هناك ثلاثة رجال تشنجت ملامحهم عندما شاهدوني. وعرفت لاحقاً أنهم أبوصبحي (العبد أبوطه) والشيخ محمود زعرورة، وعبد الله أبو ذان (أبوعلي المزرعاوي). انسحب أبوصبحي وأبوعلي، وحاول الشيخ القسام اجلاسهم، وخرج خلفهم، وسمعت أبا صبحي يقول له: لم يعد علينا سوى الأولاد الصغار، اذا أكل كفين قال من الألف الى الياء...! حينها كنت في التاسعة عشرة من عمري وعزّت علي نفسي فبكيت. وضع القسام يده على كتفي وحاول ترضيتي، وقال مخاطباً الشيخ محمود زعرورة: اشهد يا شيخ محمود، أن لي في هذا الرجل نظرة. وحاول منعي من الخروج فرفضت، وخرجت متوتراً ودموعي فوق وجهي»(٥٨). وقد كان لهذا